

الرحلة الورثانية محطاتها ومصادرها المعرفية

(1115 هـ - 1713 م / 1193 هـ - 1779 م)

بلعربي عبد القادر

طالب دكتوراه .

عضو مخبر دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر

جامعة سيدي بلعباس

ملخص :

تعتبر الرحلة الورثانية من أبرز الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني، فهي تصور لنا الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال الفترة العثمانية، فوصف الحسين الورثاني العديد من الحواضر والمدن ابتداء من الجزائر وصولاً إلى بلاد الحجاز، فالرحلة الورثانية تعتبر مصدراً من مصادر التاريخية للجزائر. الكلمات المفتاحية: الرحلة ، حسين الورثاني ، التصوف، الرحلة الورثانية.

مقدمة :

تعتبر الرحلة وسيلة هامة لكتابة التاريخ لأنها من المصادر الأولية، فقد شهد العالم الإسلامي ميلاداً عدداً من الرحالة المسلمين الذين جابوا العالم شرقاً وغرباً، فتركوا أثراً رحلاتهم في مدونات دليلاً عن جهودهم و شقاؤهم وهديا إلى الخلف، وبعد انطواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية خلال مطلع القرن السادس عشر 16م، صار الجزائريون علي نهج الأسلاف حيث شددوا الرحال ضرباً في الأرض شرقاً وغرباً ومن بين أهم وأبرز الرحلات الجزائرية في العهد العثماني رحلة الحسين الورثاني حيث تعتبر هذه مصدراً تاريخياً مهماً في دراسة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ليس الجزائر فحسب بل جميع الأقطار التي مروا بها ، كما أن الورثاني استمد معلوماته من مصادر معرفية سابقة .

أولاً: تعريف الرحلة

1 . التعريف اللغوي:

يرتبط مفهوم الرحلة في الأصل اللغوي العربي بركوب الإبل أو الجياد ونحوها وترويضها، يعرفها صاحب "لسان العرب" قائلاً الرحلة: الارتحال و الترحال الرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده⁽¹⁾، فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض والارتحال من مكان إلى آخر⁽²⁾.

إن الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وقد جاء الحث على السفر والارتحال نتيجة لذلك، وها هو القرآن الكريم يأمر بالسير في الأرض في قوله تعالى : "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"⁽³⁾

وقال عز وجل أيضا : " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور".⁽⁴⁾

وقال سبحانه تعالى : " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون "⁽⁵⁾

2. التعريف الاصطلاحي للرحلة :

هي انتقال واحد أو جماعة أو عائلة أو قبيلة من مكان الى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، و هي فن أدبي يعبر الأديب من خلاله عما يعتريه من مشاهدات و خواطر تجمع بين النثر والشعر خصوصا فئة علماء الدين رأوا أن الحج وسيلة لتأدية الفريضة المقدسة ووطأة ارض الحرمين و لقاء العلماء والمشايخ و تحصيل العلم والإجازات بجمع الكتب والمتون.⁽⁶⁾

كما أن الرحلة أكسبت أصحابها تجارب عديدة قومت من سلوكهم حتى قال الرحالة المغربي الشهير ابن زكور المتوفى عام (1120 هـ / 1708م) "فإن الرحلة منة من الله نحلة تكسب غليظ الطباع غاية الرقة والانطباع وتعقب من كابدها تصيبا و علما غزيرا"⁽⁷⁾

و تختلف الرحلة باختلاف أعراسها البشرية وقد استمر فيها التأليف الى أن أصبحت فنا أدبيا مميذا يجمع بين قيمتين، الأولى علمية و الثانية أدبية، يتوفر على مادة وفيرة تفيد المؤرخ و الجغرافي و الأديب و عالم الاجتماع غير أن الرحلات العربية على الأقل تعرف تفاوتنا نسبيا في القيمتين فالبعض يغلب عليها الجانب العلمي، الجغرافي، التاريخي، و البعض الآخر غلبت عليها الجانب الذاتي و الوجداني⁽⁸⁾. و عليه ترتبط الرحلة ارتباطا وثيقا بالظروف السياسية، الدينية، الثقافية و الاجتماعية المحيطة و ترجع الى عدة دوافع و بواعث.

ثانيا: ترجمة لصاحب الرحلة:

1- مولده: حسين الورثلاني ابن محمد السعيد الشريف الورثلاني عاش في القرن الثاني عشر هجري و الثامن عشر ميلادي (12هـ - 18م) ينحدر أصله من بني ورثلان شمال غرب سطيف⁽⁹⁾ ينتسب الى مسقط رأسه قرية بني وثلان، حيث استقرت عائلته التي كانت تنتسب الى الإشراف و تتوارث العلم و تشتهر بالتقوى و الصلح، و لد الشيخ الورثلاني عام (1115 هـ / 1713 م) تلقى تعلمه الأول بمسقط رأسه بني ورثلان حفظ القرآن و درس الفقه، اللغة و بقية العلوم الظاهرة و الباطن و انتقل بعد ذلك الى زوايا جرجرة - دلس - الجزائر.⁽¹⁰⁾

و ينتسب الإمام العلامة شيخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد الحسين بن محمد بن سعيد الحسين بن محمد بن عبد القادر بن احمد الشريف نجل الولي الصالح سيد علي البكاي البجائي الذي أصله من تافيلات بالمغرب الأقصى و هذا الأخير الذي انتقل من بجاية الى بني ورتلان و استقر بالقبائل الصغرى.⁽¹¹⁾

2- **تعلمه:** تعلم الفقه و النحو ثم أضاف إلى ذلك علمي التصوف و التوحيد، و لاشك انه نال حظا من اللغة و الأدب و العروض و التاريخ و هكذا أصبح الورثلاني⁽¹²⁾ كجده و والده من علماء المنطقة البارزين و من الذين يدين لهم الناس بالطاعة الروحية و الاحترام و قد أصبح بعد ذلك من المدرسين و شيخ زاوية و كان يذهب للتدريس في بجاية و غيرها.⁽¹³⁾

و كان يدرس بزاوية بني ورتلان مختلف العلوم الشرعية التي أخذها عنه عدد كبير من الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد بعض قضاة و رجال فتوى ببجاية و غيرها من مدن الجزائر في العهد العثماني، و اقتدى بأخلاقه و لم يكن يرضى بالأوضاع التي ألت إليها الجزائر خاصة بعد أن أصبحت المناصب الدينية كالإفتاء و القضاء تشتري بالمال و وصل الأمر إلى الامتناع عن أداء الصلاة و منها الجمعة خلف هذا النوع من العلماء و الأئمة.⁽¹⁴⁾ و قد ارتبط الورثلاني بالطريقة الشاذلية⁽¹⁵⁾، و عدد من المرابطين و ظل ملتزما بالزهد و التقشف.⁽¹⁶⁾

3- **شيوخه:** حرص الورثلاني على توسيع معارفه و نشر معلوماته و ثقافته سواء كان ذلك في قرية بني ورتلان أو خارجها، و قد درس على يد مجموعة من الشيوخ أخذ العلم على يد والده خاصة ما يتعلق بالفقه، كذلك علي بن احمد بن عبد الله⁽¹⁷⁾ و الشيخ اليعلاوي إضافة إلى الشيخ احمد زرق بن أحمد بن الشيخ الغنائي، قد نال لذلك حظا وافرا من العلم و المعرفة إلا إن تلهفه إلى المزيد جعله يتوجه نحو مراكز علمية أخرى خارج وطنه الجزائر، و هكذا استفاد من حجاته المتعددة إلى ارض الحجاز و اتصالة بالعلماء هناك⁽¹⁸⁾ و قد أدى فريضته الدينية ثلاثة مرات الأولى (1113 هـ / 1740 م) و الثانية (1166 هـ / 1752 م) و الثالثة (1179 هـ / 1761 م).

و نذكر شيوخه أيضا، الجوهرى، النفزواي، الملووي و خليل الأزهرى، و حتى نبرر تأثره الشديد بأذكار الطريقة الشاذلية، نشير الى تتلمذه على يد الشيخ عبد الوهاب العيفى مربى المريدين على هذه الطريقة و هناك شيوخ آخرين أجازوه في مختلف العلوم الشرعية مثل الشيخ أبي القاسم الربيعي القسنطيني⁽¹⁹⁾ و علي الصعيدي الزياتي.⁽²⁰⁾

4- **تصوفه**⁽²¹⁾ : تتضمن الرحلة اتجاها اقرب الى النزعة الصوفية الغزالية الى حد كبير رغم إننا لم نعثر في الرحلة على أية إشارة إلى الغزالي أبو حامد، فان فكرة انتقالها الى الورثلاني ربما عن طريق الشيخ عبد

الرحمن الوغليسي⁽²²⁾ صاحب الوغليسية التي يرد ذكرها في الرحلة عدة مرات⁽²³⁾ يُقدّر العلماء والأولياء ويلاحظون أنه على الرغم من الحالة النسبية من التفكك الاجتماعي وانتصار سلطة الولاية العثمانية على بعض المدن الساحلية فإن احترام العلماء كان في تلك الفترة قيمة بارزة وخاصة بين العلماء أنفسهم ويشير تعبير "العلم" إلى "العالم الرباني" أو "العالم النوراني" على النحو الذي يتكرر في وصف العلماء في الرحلة ويرتكز نص الرحلة على ذكر سمات العالم أما استخدام "سيدي" فإشارة إلى المكانة الرفيعة، أما الوالي تشمل صفات العلم الكبير في قوله "العالم" "الكامل".

و يرى الورثلاني بأن الذي يختاره الله للعبد أولى مما يختاره لنفسه، ولعل الله ينظر إليه بنفس الرحمة لذا فإنه متأثر بالوغليسية أما نظرة الشيخ عبد الكريم الزواوي للوغليسية فإنه جاء نضح العبد و أعانته على ما فيه رضاه.⁽²⁴⁾

5/ مكانته الدينية والسياسية : تمتع الورثلاني بمكانة مهمة سواء عند السلطة أو عند عامة الناس، وقد وصف نفسه بالمحقق الكامل، العالم العامل، العارف بالله تعالى، إمام المحقق والمريدين ذوو الرتبة الإلهية والعلوم الربانية وهو الولي الصالح الجامع بين الطريقة والشرعية، وكان إماما محققا بارعا في العلوم والقضيه حتى وصل الغاية في مذهب المالكية.⁽²⁵⁾

ولما عاد الورثلاني إلى الجزائر استقبله أهل القبائل استقبالا بالغا بمقامه ومكانته وظل يستقبل الزوار الذي فاق عددهم الألف أحيانا لأكثر من شهرين، ولم تقتصر مكانته الدينية على الجزائر فحسب وإنما الدول والأقطار التي مر بها، فباشا طرابلس مثلاً، وأهلها نظروا إليه بمنظار العالم الجليل والولي الكبير والواجب طاعته وخدمته، ومهابته بالإضافة إلى أنه عالم من أعلام المذهب المالكي الذي كان يشرف على حلقاته أينما حل⁽²⁶⁾

أما في المجال السياسي فقد اعتمد عليه حكام قلعة بني العباس وأل القاضي في تهدئة الأوضاع الخارقة بين القبائل وإصلاح ذات البين وغالبا ما كان يتدخل بسبب عدم توقف القتال بين المسلمين في المناطق التي انتقل إليها.⁽²⁷⁾

هذا وقد استغل الورثلاني صداقته مع مختلف الحكام للإصلاح مثل محمد بن أحمد حاكم بجاية ونواحيها مع محمد بن القاضي الشريف حاكم زواوة كما وضع الباي أحمد القلي (1736م- 1771م) تحت تصرف الورثلاني المحلة لتأديب الأعراس المتمردين والسعي إلى إخضاعهم إلى السلطة الحاكمة.⁽²⁸⁾

6- مؤلفاته: لقد ازداد نشاط الورثلاني من خلال سفرياته داخل وخارج الوطن رغم الأوضاع السياسية الخطيرة التي شهدتها القرن الثاني عشر هجري والثامن عشر ميلادي (12هـ - 18م) خاصة

انتشار الثورات في الشرق والغرب،⁽²⁹⁾ وقد ألف كتب في الفقه والتوحيد والتصوف والنحو والبلاغة وما الى ذلك وتعتبر رحلته التي سماها "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" اكبر عمل ألفه هو الرحلة و هناك مؤلفات عديدة نذكر منها شرحه لقصيدة القدسية لعبد الرحمن الأخضري⁽³⁰⁾ 920هـ/1515م⁽³¹⁾ من أهم أعماله التي خصصت للتصوف شرح كتاب عن الصلاة وقد أوصاه مؤلفه القرشي المدني بشرحه، وقد ذكر الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف فقال " فمن بأليافته السنة التي سارت بها الركبان، وقد دعانا الى نسخها "وما لكنها و ناظرها في حضن حصين و درع متين" و هنا شرح المنظومة القدسية للأخضري عبد الرحمن في التصوف وحاشية علي السكتاني⁽³²⁾.

كما خصص قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، تتألف من 500 بيت على وزن البردة و قصيدة " الكواكب العرفانية والشوارق الإنسية في شرح ألفاظ القدسية"⁽³³⁾ 7- وفاته: توفي بمسقط رأسه "انو" عام 1193 هـ - 1779 م عن عمر يناهز التاسعة و الستين و ظل ذكره عطرا بما تركه من مؤلفات و مصنفات⁽³⁴⁾

ثالثا: التعريف بالرحلة الورثلانية:

تعتبر رحلة الشيخ الحسين الورثلاني الموسومة " بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" احد الرحلات البارزة في القرن الثامن عشر ميلادي و القرن الثاني عشر هجري (18م / 12هـ) بالجزائر تحت حكم الاتراك العثمانيين آنذاك.⁽³⁵⁾

تظهر الرحلة في شكلها الخارجي كاملة مرتبة ترتيبا زمنيا على حسب الأحداث و قد جاءت نثرية، تتخللها بعض الأبيات الشعرية استهلها مؤلفها بديباجة خاصة، وقد جاءت كبيرة في حجمها و قد اشتهرت الرحلة منذ كتابتها، و قد نسخها سعيد بن احمد بن بدير العباسي القلعي في سنة (1182هـ - 1768م) و ربما يكون قد نسخها مرة أخرى و توجد منها حاليا بالمكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة عدة نسخ منها ثلاثة تحت رقم 2171 - 2743 - 2968 و كانت قد صدرت أول طبعة مجربة لها في تونس 1903، ثم طبعت بمطبعة بيارفور نتانا بمدينة الجزائر 1908 بعد أن صححها محمد بن شنب الذي قابل ثلاث مخطوطات و النسخة المطبوعة على 713 صفحة بالإضافة آل خمس صفحات تشمل مقدمة الناشر و المصحح و هناك 105 صفحة من الفهارس الخاصة بالأعلام و أسماء الأماكن و القبائل و الاعراش و أخيرا أسماء المصادر⁽³⁶⁾، ثم تم طبع الرحلة في مجلدين بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة عام 2008 يقع حدود صفحاتها حوالي 800 صفحة⁽³⁷⁾، و كما أن الرحلة كانت موضوع تعليق و دراسة تحليلية نشرها الأستاذ صدوق الحاج في المجلة الإفريقية تحت عنوان مع الرحلة الورثلانية عبر المغرب الأدنى في القرن الثامن عشر ميلادي 18م⁽³⁸⁾

لقد لخص مصحح الرحلة محمد بن أبي شنب من جهته هذه الوثيقة التاريخية أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر، وأعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحوضر، لاشتماله على عوارف المعارف و طرائف الطرائف، و أوابد العوائد، و فرائد الفوائد، و نسق الأوصاف الكاملة و حل المسائل الشائكة تارة رائعة في رياض الفقه و الحديث و التوحيد و تارة واردا حياض التفسير و التاريخ و التجويد و آونة طامحا إلى التصوف و النصيح و الدعوة⁽³⁹⁾

لقد طغى على الرحلة الورثانية موضوع واحد هو الأمن العام ذلك انه كلما تحدث عن قافلة أشار إلى اللصوص الذين كانوا يتربصون بها أو أخبار الاعتداءات التي وقعت على القوافل السابقة.⁽⁴⁰⁾ لقد شملت الرحلة معلومات تتصل بالحياة اليومية و الحالة المعيشة و أسلوب الحكم و مستوى الثقافة و طبيعة العادات، البلدان التي تعرف عليها في سفره أثناء إقامة ذهابا و إيابا⁽⁴¹⁾. كما جاءت الرحلة الورثانية بعدد كبير من هؤلاء المتصوفة مع ذكر زواياهم و كرماتهم و الاساطير المنسوجة حولهم⁽⁴²⁾ كان الورثاني يدون كل ما يشاهده أو يسمع له في كتابات و اوراق غير منظمة خلال حجاته الثلاثة الأولى (1153 هـ - 1740 م) و الثانية (1168 هـ / 1752 م) و الثالثة (1179 هـ - 1765 م) و بعد عودته الى الوطن قام بإعادة ترتيبها و كتابتها و انتهى من ذلك سنة (1182 هـ - 1766 م).⁽⁴³⁾

رابعا - المحطات الرئيسية في الرحلة:

يقصد بالمسار في الرحلة الاتجاه أو الخط الناتج عن حركة تنقل رحالة من مكان الى مكان و يتضمن المسار الطرق التي سار عليها الرحالة و من المعلوم إن الواجهة الأساسية للرحالين الجزائريين كانت واحدة هي بلاد المشرق و هذا مسار الأساسي أراد فريضة الحج بالحجاز و كل واحد له نقطة انطلاق و طرق متبعة⁽⁴⁴⁾ و من خلال هذا يمكن أن نذكر أهم محطات التي حل بها الورثاني. أ/ بسكرة: تعتبر اكبر محطة توقف عندها الورثاني و تكمن أهميتها في ثلاثة أبعاد أنها موطن صاحب الطريقة الشاذلية و قبر احد الأولياء الصالحين عبد الرحمن الاخضري مؤلف "السم المرونق" و قصيدة القدسية.⁽⁴⁵⁾

وثانيها أنها توجد بها مساجد عظيمة لا تجد لها مثيل إلا مدن كبرى مثل القاهرة و من ذلك الجامع الأعظم ثم يصنف الورثاني و هو منم بسكرة داخل المدينة جنات يدخل إليها الماء من النهر جبل ملح يقطع منه صخور حليمة و ثالثها وجود قبر احد الصحابة عقبة بن نافع الذي يقع في منطقة سيد عقبة بالقرب من المدينة.⁽⁴⁶⁾

ب/ بلاد الجريد و قابس (تونس) بعد ذلك توجه إلى تونس و أقام بها متعلما و معلما و ناويا للحج من هناك و لكن الحظ لم يسعفه في البداية ، فعاد إلى وطنه و في المرة الأخيرة أقام فيها خمسة أشهر و نيف ، "

قام تدريس الفنون و ضبط القواعد من العلوم " و قد اخذ عنه كثير من الطلبة من كتاب " المعالم " للإمام " الفخر الرازي " و " الفتوحات " لابن العربي و " عقيدة بن الحاجب " و غيرها ، و عقد حلقات بحث مع المشايخ و الطلبة في كل من : صفاقس و قابس في مختلف العلوم و لقي عددا كبيرا من العلماء الأجلاء بتونس و اجتمع معهم و ربط الصلة المتينة بهم فيذكر لنا منهم : الشيخ الهادي السنوسي و كان آنذاك تحت الإقامة الجبرية في جامعة الزيتون بامر من الباشة علي ، و الشيخ الغرياني و المفتي بن محجوبة و الشيخ حمودة بن عبد العزيز ابن شيخه محمد بن عبد العزيز و الشيخ حسن الترجمان و الشيخ الكبير الشريف و احمد بن عبد الصادق و صالح الكواشي و ناصر القابوسي و احمد السنوسي و احمد التيجاني و محمد المغربي و احمد الباهي و كلهم من مشايخ جامع الزيتونة و من تونس⁽⁴⁷⁾

لقد ذكر الورثلاني في هذه المحطة الممتدة من توزر الى قابس عامرة بتجمع بين طيبة أهلها و التفكك الاجتماعي من جراء غياب الوازع الديني و الاختلاط الشائع بين الرجال و النساء و الظلم الناتج عن الخراج الذي يفرضه حكم الأتراك و والي تونس على المنطقة و يقول الورثلاني اضرب أهلها جور الولاة حتى كاد الخراب يستولي عليها لضعف أهلها بالجبايات الظلمية.⁽⁴⁸⁾

ج/ طرابلس ليبيا :

وردت في رحلة الورثلاني بعض الاعتبارات المتعلقة بأسلوب حكم و نوعية إدارة العلاقات بين الحكام و الأهالي، لقد تعرض الى ما كانت تتمتع به الأقلية الحاكمة من أبناء مماليك الكراغلة و الأتراك و سيطرة الأسرة القرمانلية على معظم الأراضي الليبية، كما يشير لذلك الى حدود ايلة طرابلس الغرب مع ايلة تونس هي المنطقة التي تتلقى فيها فسميت النوائل ورغة إذ يقول " و ورغة هي منتهى عمل تونس الشرقية و النوائل هي منتهى عمل طرابلس الغرب".

بالإضافة إلى ذكره لحلول قحط و ظهور المجاعة و الأمراض الفتاكة في سنوات 1767 - 1794 - 1795 - 1786 بالإضافة إلى انعدام الأمن و كثرة الظلم و النزاع بين القبائل البدوية من أجل المياه و المراعي.⁽⁴⁹⁾

د/ مصر: زار الورثلاني العديد من العلماء و الشيوخ بالأزهر و منهم العلماء من وطنه الذين كانوا بالأزهر في هذه الفترة من رحلته أمام كشف تعسف والي بولاق و ظلمه للحجاج اذ يقول : " إن ظلم ولاتها قد وصل الى كل جنس من أجناس الأدميين حتى بلغ ظلمه الحاج المغربي و العلماء و الطلبة و الفقراء و الأشياخ و التجار و سائر الناس قاطبة و لذلك ابتلاهم الله بالشقاق و القسمة فكانت مصر لمن غلب، كما اخبرنا عن الصفات القبيحة كالمكر، الغدر و الاحتيال على حجاج بيت الله دون خوف و رهبة⁽⁵⁰⁾

ه/ الحجاز: حكم الورثاني حكما قاسيا على النظام السياسي في الجزيرة في زمنه و قال إن الأوضاع فيها كانت تسير من سيء الى الأسوأ و من هنا كان الورثاني موفقا في وصف هذا النظام، كانت هذه الفترة تتزامن مع بداية انتشار الحركة الوهابية⁽⁵¹⁾ و ذكر من الأمراء في حجته الأولى الأمير مسعود بن سعيد 1165 هـ أما حجته الثانية و الثالثة فقد كان الأمير هو مساعد بن سعيد 1184 هـ و السبب في هذا الفساد راجع بالدرجة الأولى الى عجز الولاة عن توفير الأمن بل نسب إليهم الظلم.⁽⁵²⁾

خامسا - المصادر المعرفية في الرحلة الورثانية :

مما لا شك فيه إن الورثاني اعتمد على مصادر حيث يقول " أن اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا و قدوتنا و من على الله اعتمدنا سيد احمد بن محمد ناصر الدرعي و الرحلة الناصرية متوفى 1717م⁽⁵³⁾ و يمكن أن نجمل أهم المصادر فيما لي :

أ/ الرحلات السابقة: يبدو أن الورثاني قد اطلع على الرحلات السابقة التي سارت في نفس المسار الى مكة بحيث انه عندما يتوقف عند قرية أو مسجد أو مقبرة يذكر ما ذكرته الرحلات السابقة رحلة أبي سالم محمد العياشي⁽⁵⁴⁾ و رحلة احمد بن ناصر و رحلة التجاني.⁽⁵⁵⁾

ب/ كتب الفقه و التفسير: يتضح في نصوص الرحلة إن الورثاني كان على دراية واسعة بالفقه و أصوله و مدارسه و أحيانا يقدم الفتاوى، فقد اطلع على المؤلف الموسوم بالوغلبيسية حيث زار شارحها سيد عبد الرحمن الصباغ.⁽⁵⁶⁾ و هي وثيقة فقهية بارزة تجمع الفقه المالكي و النزعة الصوفية، و يبدو إن الوغلبيسي (صاحب الوغلبيسية) أول من سعى الى إدخال النظرة الصوفية و يذهب البعض الى إن الوغلبيسي يكون قد تأثر بأفكار أبو حامد الغزالي الذي نال في أواخر حياته إلى النهج الصوفي مثلما نقرأ ذلك في كتابه " المنقذ من ضلال"⁽⁵⁷⁾

ج/ كتب التاريخ: اعتمد على مصادر كان يوظفها في العلاقة مع المناطق التي شملتها الرحلة و يخوض أحيانا في تفاصيل تاريخية كثيرة على النحو الذي نجده في وصفه حملة عقبة بن نافع الذي قتل و دفن بمنطقة سيد عقبة ناحية بسكرة و النزاع الذي وقع بينه و كسيلة احد أمراء البرابر آنذاك. و أحيانا كان يمارس بعض التاريخ عندما يتحدث عن حال ولاة المناطق التي كانت تحت الخلافة العثمانية، و لعل هذا البعد التاريخي هو الذي يجعل الكاتب يضيف تعبير " علم التاريخ و الأخبار" إلى عنوان الرحلة.

خاتمة :

إن رحلة الجزائريين ساهمت في تكوين طبعة من العلماء لمعت أسمائهم وذاع صوتهم في المشرق و المغرب ، فقد تناولوا موضوعات كثيرة فتحدثوا عن العلوم و الأدب في المدن و المراكز العلمية التي شدد وعيها و ساهمت الرحلة في التواصل الثقافي بين المشرق و المغرب العربي حيث أصبح الرحال رسل علم ومعرفة وحلقه اتصال علمي إلى المشرق ومظاهر نشاطه و أحواله، لقد كانت رحلة الورثاني دينية فكان التصوف و الزهد الغالب على الرحلة واتسمت بالطابع الاجتماعي ووصف الحجيج و الأمن ،وعليه فان الرحلة تعتبر من الوثائق هامة حيث تفيد الباحث في مجال التاريخ والآثار والجغرافيا والديمقراطية وتمكنه من استقراء المضامين الغائبة في المصادر.

الإحالات والهوامش:

- 1 - قنديل فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة، 2002، ص.23
- 2 - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار بيروت للطباعة، بيروت، 2001، ص.259
- 3 - سورة الأنعام، الآية: 105
- 4 - سورة الملك، الآية: 15
- 5 - سورة التوبة، الآية: 112.
- 6 - القايم أسماء، الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني الحج أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأدب و العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس 2008- 2009 ص.15
- 7 - بلحمسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.9
- 8 - أنساعد سميرة، www.chihab.net
- 9 - سويدي جمال، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر من القديم الى 1830، (ترجمة: بوردوز فايزة)، منشورات التل، الجزائر، 2007، ص 40
- 10 - سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي ط2، بيروت، لبنان، 2000، ص 718
- 11 - ألقاسمي عبد المنعم الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل، الجزائر، 2007 ص 143 . ينظر كذلك: بوعزيزيحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، الجزائر، 1995، ص 44
- 12 - سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 394.
- 13 - فيلا لي مختار بن الطاهر، رحلة الورثاني، عرض و دراسة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د ت، ص10.
- 14 - نفسه، ص 15.
- 15 - الطريقة الشاذلية: أسسها أبو الحسن الشاذلي من كبار المتصوفة السنيين عرف شهرة كبيرة و التف حولته الناس قرب زعوان بتونس / انظر: الشيخ أبو عمران و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 427.
- 16 - فيلا لي مختار، المرجع نفسه، ص 19.
- 17 - وهو العلامة الجليل و الصوفي الشهير صاحب الزاوية المعروفة بمدينة الجزائر، كانت له مكانة مرموقة لدى الاتراك العثمانيين وهو صاحب المنطومة المشهورة في علم التوحيد والتي قالت شهرة كبيرة علة مستوى العالم الاسلامي ،وتسمى "كفاية المريد في علم التوحيد " ،و تعرف أيضا بالجزائرية توفيت سنة 884هـ بمقبرة الابيار بمدينة الجزائر ينظر : صلاح مؤيد ، المرجع السابق ،ص352.
- 18 - هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص 217/ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 45.

- 19 - عزى عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 17
- 20 - هو الفقه الاصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه، شيخ الجماعة في بجاية تلامذته علماء أجلاء مشهورين وتأليفه كثيرة منها الجامعة في الاحكام الفقهية على مذهب الامام مالك، تسمى الوغليسية نسبة الى بني وغليس، توفي أواخر القرن الثامن 8م وعلى قبره قبلة ظاهرة بينه وبين سيدي عيش نحو ميل، يقول ابن الخطيب القسنطيني أنه توفي سنة 786هـ ببجاية، ينظر: صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 494
- 21 - المتصوف: هو علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وهي طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زحف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه وانفراد عن الحق والخلو عن العبادة واختص هؤلاء باسم الصوفية والمتصوفة ينظر: ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة بيروت، 2003، ص 462
- 22 - الفقه المحدث والمفسر شيخ الجماعة في بجاية تلاميذه علماء أجلاء تأليفه كثيرة منها الجامعة في الاحكام الفقهية على مذهب الامام مالك، وتسمى الوغليسية نسبة الى بني وغليس، توفي أواخر القرن الثامن الهجري حوالي 786هـ ينظر: صلاح مؤيد العقبي، ص 494.
- 23 - عزى عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 69
- 24 - الحسين الورتلاني، الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج1، مكتبة الثقافة والدينية القاهرة، 2008، ص 48.
- 25 - نفسه، ص 41.
- 26 - صحراوي عبد القادر، التصوف والمتصوفة في الجزائر ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر (16 - 18م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2008 - 2009، ص 192.
- 27 - عزى عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 7.
- 28 - صحراوي عبد القادر، المرجع السابق، ص 192.
- 29 - فيلا لي مختارين الطاهر، المرجع السابق، ص 26.
- 30 - ولد الأخضرى سنة 910هـ/1512م من عائلة علمية شهيرة من قبيلة بني سليم العربية نال العلم الشرعي من محيط أسرته اتصف بالزهد والصلاح والتقوى له العديد من المؤلفات في النحو والمنطق. التصوف أبزها القدسية، السلم المروني توفي 953هـ/1546م ينظر: مصمودي فوزي العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضرى شخصيته ومواقفه، موقف للنشر، الجزائر 2005، ص 17 - 53.
- 31 - مصمودي فوزي، "العلامة الاخضرى في عيون الرحالة العرب العياشي، الورتلاني، الزباني" المجلة الخلدونية، عدد خاص، 6، 12/2008، ص 113.
- 32 - الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص 145.
- 33 - شارف رقية، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، خلال القرن 18 وبداية القرن 19 دراسة تحليلية نقدية، الدار الملكية، ط1، الجزائر، 2007، ص 280.
- 34 - القاسمي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 143.
- 35 - عزى عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 09.
- 36 - القايم أسماء السابق، المرجع السابق، ص 116.
- 37 - عزى عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 16.
- 38 - Hadj sadouk (M): "A travers la berbère orientale au XVIII siècle, avec le voyageurs EL Wartileni, RA N 95, 1995, pp 364- 382.
- 39 - الورتلاني الحسين، المصدر السابق، ص 3.
- 40 - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2 ... المرجع السابق، ص 193.
- 41 - عزى عبد الرحمن، المرجع سابق، ص 26.
- 42 - مكحلي محمد، "ارتباط المدن بالأولياء"، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، العدد 1، ديسمبر جانفي 2001 - 2002، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002، ص 260.
- 43 - انساعد سميرة، المرجع السابق. www.chihab.net

- 44 - نفسه
- 45 - مسمودي فوزي، المرجع السابق، ص 114.
- 46 - عزي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 37.
- 47 - مختار بن الطاهر الفيلاي، المرجع السابق، ص 24.
- 48 - الورثاني الحسين، المصدر السابق، ص ص. 156 - 157.
- 49 - سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص 217.
- 50 - هلايلي حنفي، المرجع السابق، ص 226.
- 51 - **الحركة الوهابية**: ظهرت في الحجاز عرفت باسم صاحبها محمد ابن عبد الوهاب (1703م، 1792م) نادى بنبذ البدع و الخرافات، اتهمت العثمانيين بالتهاون في الدين. أنظر: سيف الدين الكاتب، أطلس تاريخ العرب والعالم، دار الشرق العربي، بيروت، ط2، 2008، ص 111.
- 52 - هلايلي حنفي، المرجع نفسه، ص 277
- 53 - الورثاني الحسين، المصدر السابق، ص 13.
- 54 - **للمزيد ينظر**: عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661 - 1663 (تقديم وتحقيق: سعيد الفاضلي و سليمان)، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الامارات، 2006.
- 55 - عزي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 16.
- 56 - الورثاني الحسين، المصدر السابق، ص 19.
- 57 - عزي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 24.